

التحول النقدي السيميائي لدى جوليا كريستيفا قراءة إستيمية في ثنائية "الذات والخطاب"

Julia Kristeva's semiotic critical Transformation

Epistemical framework in the dual "entity and discourse"

د. غروسي قادة*

كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي لباس-سيدي بلعباس-الجزائر

تاريخ النشر: 2018/12/31

تاريخ القبول: 2018/12/28

تاريخ الإرسال: 2018/06/25

الملخص:

إنَّ النقلة النوعية في التجربة النقدية السيميائية لدى "جوليا كريستيفا" أملت تلك القطاعات المعرفية والممارسات المنهجية للمتصورات النقدية اللسانية من جهة والمتصورات العلمية للدراسات الأدبية من جهة أخرى، وهذا التحول كان يتلاءم مع التوجه العام الذي كان سائدا لدى مجموعة "تل كال Tel Quel" السيميائية والتي كانت تتبني في مشروعها النقدي تصوّرا جديدا حول الممارسة النصّية والنظرية، مما فسح المجال أمام "جوليا كريستيفا" في مشروعها النقدي السيميائيات التحليلية "السيمانابيز" أن تفتح أفقا نقديا جديدا مقوّضا تلك المتصورات الصورية المغلقة حول طبيعة "الذات والخطاب" وهذا بعد تمثّلها للفكر الفلسفي والمنطقي والنفسي وذلك بتجاوزها لوهم المحايثة وسلطة البنية وتغييب الذات داخل الممارسة السيميائية.

الكلمات المفتاحية: السيميائيات؛ الخطاب، الذات، السيمانابيز، النقد.

Abstract :

The talk about the semiotic critical experience of Julia Kristeva was dictated by the transformations and practices of linguistics criticism on the one hand and the scientific perception of literary studies. This criticism was consistent with the general orientation that prevailed with the Tel Quel group, which adopted a new vision And in the textual and theoretical practice, which allowed Julia Kristeva in her analytical semiotic project to open a new critical horizon that undermines those closed formels of subject and discourse, which represent philosophical, logical and psychological thought by overcoming the illusion of imance and The power of structure, and the entity-negation within semiotic practice.

Keywords: Semiotic, Discourse, Entity, Semanalysis, Critic

* الباحث المرسل: gharoussi.dr@gmail.com

مقدمة:

يبدو ولوج "جوليا كريستيفا Julia Kristeva" للفكر اللساني والفلسفي والنفسي كان بمثابة فعل تثويري ونقض للعقيدة البنوية ومشهدها العتيد، لا سيما لمتصوراتها المتناقضة حول مفهوم النسق وأدبياته المحايثة، كون أن هذا الأخير-النسق المحايث- أصبح من الصعب على أيّ باحث أن يفكر في تجاوزه أو نقده آنذاك، كما يمكن تحديد نقطة الإشكال النقدي لدى "جوليا كريستيفا Julia Kristeva" هو ذلك الانعطاف الإبستيمي والمنهجي، وذلك منذ نقدها وقلها للطرح السوسيوي أي بعد تخصيص السيميائيات وشمولية اللسانيات مما فتح المجال أمامها لإلحاق السيميائيات بالعلوم الأخرى ودمجها فيها، وهذا مما عزز السيميائيات من مكانتها لأن تطرح نفسها بوصفها مشروعاً لتوحيد العلوم حسب تعبير "وليام شالز موريس William Charles Morris"، أو على الأقل أنها نظرية لتحليل الخطابات متجاوزة بذلك حدود الجملة، وهذا بعد تلاقيها مع علوم كثيرة كالرياضيات واللغة والبلاغة والمنطق وعلم النفس دون أن تذوب مع هذه العلوم فاسحة المجال أمامها أيضاً لاستثمار الفرضيات واستكشاف النتائج ونقد الأصول المعرفية. ولذا يمكن القول أنها أصبحت علم النقد/نقد العلوم أو بلغة المنطق الأرغانون العام للعلوم.

1- سيميائيات الذات المتكلمة:

1-1- اللغة وثنائية الرمزي والسيميائي:

تتمثل المنطلقات الأساسية لدى "جوليا كريستيفا Julia Kristeva" من خلال تمثيلها للمشهد النقدي خصوصاً بعد الإسهامات النقدية التي جمعت في كتاب "Sémiotiké" إلى جانب تلك التحولات الفكرية والموجة الجديدة التي شهدتها الساحة النقدية على وجه الخصوص والمتتمثلة في أعمال "جاك درويدا Jaques Derrida" الأولية من خلال مؤلفاته "الكتابة والاختلاف L'écriture et la déference"، و"علم الكتابة La Grammatologie"، وكتاب "الظاهرة والصوت La Phénomène et la voix" لكن المساهمة النظرية الرئيسة لـ"جوليا كريستيفا Julia Krestiva" تتجلى في مؤلفها "ثورة اللغة الشعرية La révolution de langage poétique" الذي كان الهدف منه هورْدُ الاعتبار للذات التي غيّبها الماركسية في أثناء ممارستها الاجتماعية، وهذا ما سيدفع بكريستيفا اقتحامها للدرس النفسي وذلك للتخفيف من حدة التوتر والجدل القائم بين اللغة المباشرة / اللغة غير المباشرة، أو مثل ما تصطلح عليه بـ"السيميائي والرمزي Sémiotique et Symbolique".

فالرمزي من منظور "جوليا كريستيفا Julia Kristeva" نتاج اجتماعي للعلاقة بالآخر. أي الكيفية التي يرتبط فيها الناس ببعضهم البعض حيث يمثل الرمزي لغة معينة فيها تكون بنى الخطاب محدّدة، وبهذا التحديد يأخذ الرمزي شكلا سلطويا وقطعيا.¹ في حين يتجلّى السيميائي في اللغة الشعرية التي تكشف مثل هو عند "مالارميّة" و"لوتريامون" عن سمات الجانب السيميائي عندما تعمل بتناغم مع الجانب الرمزي ويتعارض جدلي معه.² بمعنى آخر أن اللغة المباشرة تتدفق داخل اللغة غير المباشرة مع الاحتفاظ باستقلاليتهما-اللغة المباشرة-في الوقت نفسه، وعليه فالعلاقة الجدلية بين السيميائي والرمزي من منظور "ج. كريستيفا" علاقة خصبة ومركزية، فهس تأسيس لعملية التدليل La Signifiante.

إن النص لدى "ج. كريستيفا" ممارسة دالة يدمج الذات ويوزّعها توزيعا سيميائيا في الأماكن المناسبة بطريقة رمزية، وبهذا التحديد تجعل "ج. كريستيفا" الذات المتكلمة على أنّها « هي نفسها نص، وهي تنقش ضمن العملية الدالة لا ككيان مفروض بل كسمات سيميائية ورمزية ومعبرة وهي سمات للعملية الدالة³ » وبوجب هذا التمايز تفتح "ج. كريستيفا" العلاقة بين الذات والدوافع اللاشعورية، وإذا كان الرمزي لدى "ج. كريستيفا" مشدودا إلى علاقة الدال بالمدلول، فإنّ "دو سوسير" يَعدّل عن ذلك على أساس أن هذه العلاقة تتعلّق بالسيميائي، وهي بالنسبة إليه تشكّل علامة واصفا إيّاها بالإعتباطية. بينما تعلّل "ج. كريستيفا" هذه العلاقة داخل الرمزي عن طريق الدوافع اللاشعورية (الإزاحة والتكثيف).

ومن هذا المنطلق تستقي "ج. كريستيفا" متصوراتها النقدية من معين "سيغموند فرويد" و"جان لاكان" وفرضياتهما، وذلك حين تتساءل عن عملية الكتابة ودور اللاشعور فيها. ولذا فهي تتعامل مع الذات بوصفها عتبة اللغة. ومنه يمكن الحديث عن طبيعة الحلم بوصفه «لغة حقيقية، أي نظام من الدلالة له نحوه ومنطقه الخاص»⁴ وبهذا التحديد تغدو المادة الخُلُمِيّة أيقونة تشتغل على استعارة الصور وتحويلها في اللغة وترتيب اللاوعي في الظاهر. . . فالحلم هو بلاغة اللاوعي التي يسعى

¹ ج. هيو سيلفرمان، نصيات بين الهرمونوطيقا والتفكيكية، ترجمة، حسن ناظم وعلى حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، 2000، ص. 257.

² المرجع نفسه، ص. 216.

³ المرجع نفسه، ص. 263.

⁴ Julia Kristeva, Le langage cet inconu, édition, Seuil, Paris, p.265.

الحالم توصيلها ولكنها تصل فوق اللساني¹. فالحام له صلة وثيقة بلغة العقل وبعض الوسائل الأسلوبية كالتي نلفها في الكتابات الأدبية، غير أنّ طبيعة الحلم كما يشير إليه "إميل بنفنيست" ذو خاصية مجازية يستقى معناها من محتواه الخاص². ولعل هذه الممارسة التدليلية من موقع التحليل النفسي إنما هي الوصول إلى الذات التي أنتجت العمل الأدبي وأثره.

2-1- الذات ومعالَم الانفتاح النقدي:

إن انفتاح "ج. كريستيفا" على الذات سيعيد النظر في بعض المفاهيم داخل المقاربات النسقية نفسها، خصوصا بعد انحصار النسق المحايث، حيث لم يعد التعامل مع النص الأدبي على أنه قوام لسانی فحسب يحتكم لمبدأي الانسجام والاتساق، أو معطى ثابت وقار على حدّ تعبير "الشكلانيين الروس" حيث إنّ النص الأدبي لالا يتّسم بالثبات والاستقرار على غرار النسق اللغوي، ذلك أن النص الأدبي الحداثي قد خرق معيار البنية كما ثار أيضا على الشكل التعبيري العام.

وفي نفس المساق نجد "محمد مفتاح" من جهته يشيد بتلك المقاربات اللسانية التي استطاعت أن تسهم في «ضبط التحام النص واتساقه، إذا كان علميا أو فلسفيا أو سياسيا أو شعريا قديما³»، ومن جهة أخرى ثبت عجز هذه المقاربات اللسانية في إثبات «الالتحام والاتساق في كثير من النصوص الحديثة والمعاصرة التي تثور على الالتحام والاتساق، ولذا لا مفرّ من الالتجاء إلى السيميائيات الأوروبية وإلى دلالية بيرس لسدّ الثغرات بعد أن تغرّب ابستمولوجيا وتطعّم بمفاهيم جديدة ظاهراتية ودينامية⁴».

بات التسليم بدينامية النص الحداثي الذي أصبح يشكّل منطقة من مناطق اشتغال الفكر وأنّ سلطته هي الأخرى باتت تفوق سلطة المؤلف والقارئ على حدّ سواء، وذلك من خلال استراتيجيته التي تقوم على «جملة من الألعاب والإجراءات يمارس الخطاب من خلالها آلياته في الحجب والتبديل والنسخ⁵» وفي هذا دفع لمركزية المحايثة ومعيارية الانغلاق، هذا وإن كان النص قدّ من كيان لغوي فسيظل نسقا مفتوحا بالفجوات

¹ ينظر، ناصر إسطنبول، مسرح الطفل، من الحلم إلى المرأة، مقارنة فردية /لاكانية، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغات والفنون، جامعة وهران، العدد 1، 1992، ص.126.

² Voir, Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, Tome1, ed. Cérès 1995.p.90.

³ محمد مفتاح، النقد بين المثالية والدينامية، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، عدد 60، 61، 1989، ص.21.

⁴ المرجع نفسه، ص.21.

⁵ علي حرب، نقد النص، النص والحقيقة 1، المركز الثقافي العربي، 1995، ص.18.

والثغرات، وهذ سرّ جماليته وأساس أدبيته، بل إنّ شعريّة الغياب وجماليات الفراغ الباني تشكّلان قوامه الجوهرى¹. ومنه يصبح النص هو حامل لتلك القدرات الإنتاجية الكامنة فيه، في حين يصبح القارئ هو المحمول ومنتج لطاقة معنى النص. وعليه لا ينبغي التعامل مع النصوص بما تقوله أو تنص عليه، أو بما تعلنه وتصرّح به، بل بما تسكت عنه ولا تقوله، بما تخفيه وتستبعده بكلام آخر. ولعلّ هذا شرط القراءة وعلّة وجودها القائم على أساس التفاعل والحوار مع بنية النص ومتلقّيه.

إنّ التغيّر والتحوّل كلها استراتيجيات ومفاهيم بدت تلوح بوادرها تلوح لدى "ج. كرسيفا" منذ أن شكّكت في طبيعة النسق المحايث، وهذا بفتح تصوّر جديد قائم على مبدأ التعدد والإنتاجية، ويتمظهر هذا التصوّر الجديد في مشروعها النقدي [السيمياثيات التحليلية La sémanalyse] الذي يقوم على تقويض النظرية السيمياثية اليامسليفية في أبعادها الغائية والنسقية أو ما يطلق عليها بـ"La Systématisant" والتي اختارت هذه النظرية -السيمياثية اليامسليفية- لنفسها مبدأ المحايثة داخل الكلية المغلقة غير قابلة للاختزال « كنسق مزدوج المستوى الذي بدأ بالتشكيك في قدرة مفهوم الإيحاء على خلق انفتاح في نسق مغلق، حيث إذا أبنا إلى إسهامات يامسليف في بحوثه حول العلامة الأدبية نجد ذلك الانسداد الذي آل إلى صيغ آلية معقّدة لم تستطع أن تحسم مسألة إنغلاق العلامة Clôture de signe².

ظلت "ج. كرسيفا" تبحث عم ما أسمته بـ"الإنتاجية النصية" الذي يمثل نقلة مفاهيمية على المستوى المعرفي، وذلك حين تجاوزت سيمياثيات التواصل التي أرسى دعائمها كل من "بيوسنيس وبريتوومونان" التي أذابت افنسان واستبدلته بفهوم النسق، حيث كان هدف سيمياثيات التواصل هو التمرکز أو تتبع العمليات الشكلية للأنساق السيمياثية. دون البحث عن الوظائف الجمالية والأبعاد التداولية للعماية التواصلية. وعليه كان منظور "ج. كرسيفا" للنص على أنه فضاء يتّسع لأن يكون موضوعا للخطاب بوصفه ممارسة سيمياثية دالة وذلك بإعادة «توزيع نظام اللغة في تعالقه بالكلام التواصلية الذي يهدف إلى الإعلام المباشر مع مختلف الملفوظات الداخلية أو

¹ أحمد يوسف، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2000، ص.236.

² Julia Kristeva, Sémiotiké, Recherches pour une sémanalyse, ed. Seuil, 1969, pp.24-25.

التزامنية¹». وعلى ضوء هذا التحديد ينظر إلى النص في بعده التواصلية على أنه مسرح للإنتاجية ويعني:

- أنّ النص في علاقته مع اللغة التي يتموضع فيها إعادة "توزيع/هدم" ' إذ تسمح هذه الطريقة أن تتقاطع عن طريق مقولات منطقية على غرار مقولات لسانية محضّة.
- يتمثل النص أيضا مرتكزا لتبادل النصوص في فضاء نصّي متعدد الملفوظات المأخوذة من نصوص أخرى.

ومن هذا التوصيف يغدو النص وحدة إيديولوجية *Idéologème* الإيديولوجيم: مصطلح استقته كريستيفا من "ميدفيدف" وهم من منظور "فيكتور إرليخ" وهو جزء من الممارسة الاجتماعية بوصفه يعكس واقعا اجتماعيا والذي يتمظهر في مجموعة من التلفظات وطرق اللبس والعلاقات التنظيمية بين البشر، إنّ كل إيديولوجيم هو جزء من الواقع المادي الاجتماعي، ذلك أن الوعي الإيديولوجي حسب هذا التصور هو الوعي الذي يأخذ طابعا ماديا أي أن الوعي الإيديولوجي لا يتحوّل إلى وعي إلا عن طريق اتخاده أشكال المحيط الإيديولوجي. وبهذا يكون الإيديولوجيم «وظيفة للتداخل النصّي التي يمكننا قراءتها ماديا على مختلف مستويات بناء كلّ نص تمتدّ على طول مساره مانحة إيّاه معطياته التاريخية والاجتماعية²» وهذا ما دفع بجوليا كريستيفا إلى تجاوز مفهوم البنية التي شكلت عقيدة وثوقية لدى البنويين ردحا من الزمن، وبالتالي تغيير النظرة المركزية لفكرة النسق، وهذه الشكوك حول طبيعة النسق المحايث أثارت سجلات نقدية وأدبية، وعلى الرغم من ذلك لا زال النسق المحايث يشكّل قاسما مشتركا مع النسق السيميائي في متصوراته النقدية، وهذا ما جعل من بعض المقولات السيميائية تحتكم لأدبيات هذا النسق وتمتّع من معينه في أثناء ممارستها النقدية.

ترى "ج. كريستيفا" أن الممارسة الاجتماعية داخل الخطاب ليس منتوجا فحسب، بل مسرحا للإنتاجية حيث يتمّ فيه التفاعل بين المؤلف /القارئ، فتغذو الذات المتكلمة لديها، هي نفسها نص، تنقشُ ضمن العملية الدالة. بوصفها سيمات سيميائية³. وبهذا المفهوم يتحدّد مصطلح "التدليل، Signifiante" لدى "ج. كريستيفا" إعادة بناء لغة جديدة تتيح سبيل التعدد والانفتاح.

¹ IBID.p52.

² IBID.p52.

³ Voir.IBID. p52.53.

ترتكز "ج. كريستيفا" على فكرة النص الشعري إلى استكشاف الآليات الإجرائية والقوانين التي تحكم إنتاج المعنى حيث تشير إلى أنّ «الملفوظ الشعري لا يمكن أن يقرأ في كليته الدّالة، بل منة موقع فضائي لوحداث دالة، فكل وحدة تأخذ فضاءها المحدّد بوضوح، والذي لا يمكن إذابته داخل الكل¹» وفي هذا زحزحة لتلك المتصورات التي تقدّم الملفوظ على أنه مجموعة من الأنساق النحوية الصارمة الخارجة عن كليّتها الدّالة. وعلى منوال هذا الطرح النقدي للأصول المعرفية داخل متصورات السيميائيات التحليلية تبني "ج. كريستيفا" مشروعها النقدي "السيماناليز" مجموعة من المفاهيم تراها ضرورية لتجاوز فكرة النسق المحايث فاتحة بذلك أفقا جديدا يتيح التعدد والانفتاح والاختلاف.

2- السيميائيات التحليلية "السيماناليز" والإنتاجية النصية:

1-2- التدليل Significance:

إنّ لمصطلح التدليل امتداد داخل الحقول المعرفية كاللسانيات والتحليل النفسي، بوصفه نشاطا سيميائيا مرتبط بالأنظمة العلمية، حيث تتمظهر وظيفته في نقل التحوّلات الأسطورية والتاريخية إلى نسيج اللغة، وهذا بعد تفكيكها وإعادة بنائها، ومنه نجد "ج. كريستيفا" تغترف من معين التحليل النفسي ومن نظريات "سيزموند فرويد وجان لكان" وبخاصة في مجال الدّال واللاوعي القائمين على أسس إنتاجية تحويلية، ومن هنا عمدت "ج. كريستيفا" على تقويض العلامة اللغوية والنظرية التواصلية في أثناء تجاوزها لسلطة البنية، معلنة بذلك على تجلّيات فكرة النسق المفتوح الذي سيحدث منعطفا حاسما داخل الكتابة المعاصرة.

فتحت "ج. كريستيفا" أفقا جديدا من خلال عملية التدليل الذي يقوم على التمييز والاختلاف والتوزيع التي تمارس داخل النشاط اللساني، وي طرح على خط الذات المتكلمة سلسلة دالة تواصلية ونحوية مبنية، وسيكون على السيميائيات التحليلية دراسة الدلالة اللّانهائية وأنماطها داخل النص. تجاوز الدال مع الذات والعلامة والتنظيم النحوي للخطاب للوصول إلى المنطقة حيث تتجمع فيها بذور التي ستدلّ داخل حضرة اللسان². وهذه زحزحة لمفهوم النص المحايث الذي يشتغل بطريقتين

¹. هيو سيلفرمان، نصيات بين الهرمونطيقا والتفكيكية، ترجمة، حسن ناظم وعلى حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، 2000، ص. 263.

² Julia Kristeva, Séméiotiké, Recherches pour une sémanalyse, ed. 201.

لتوليد المعنى داخل الخطابات، ففي الحقل السيميائي تعتمد العلامة بوصفها وحدة مستقلة، في حين تشتغل الطريقة الثانية على نسق دلالي من الملفوظ العام للخطاب.

2-2- سيميائيات النص:

النص الظاهر Phéno-texte والنص المولّد Géno-texte:

يقدم "ميشال أرفيه" مفارقة جدّ متميّزة وذلك حين ينبّه إلى عدم الخلط بين التمثلات المفاهيمية مع اللسانيات اليامسليفية، كون أن النص المولّد / Géno-texte لا يمتّ بصلة إلى طبيعة مضمون الإيحاء، أو النحو التوليدي، حيث تعتبر العلاقات بين النص المولّد والنص الظاهر ذات طبيعة مختلفة عمّا يمكن أن نجده من علاقات بين البنية السطحية والبنية العميقة للنص¹.

تعرض "ج. كريستيفا" النص المولّد بوصفه القاعدة التحتية La base sous-jacent للغة، والمتظّم في النص الظاهر، وتستحضره للدلالة على «المظهر الذي يتقدّم به النص، إنّه الصيغة الدلالية اللامتناهية في اللغة الطبيعية²» فيتشكل النص في فضاء اللغة داخل الممارسات اللغوية التي تتميّز من خلال نظامين من العمليات التركيبية Opérations Syntaxique والتركيبية الدلالية Operation Sémantique. ، وبهذا يأخذ النص الظاهر شكل البنية التي يمكن توليدها داخل معنى النحو التوليدي³. فعمليات النص الظاهر تتجلى داخل النص المولّد، وهذا التمثل في الواقع دعوة للقارئ إلى إعادة العملية التدليلية وإنتاجها.

يشغل النص المولّد بعمق داخل هذه العمليات التركيبية والدلالية داخل «اللغة الشعرية أو ما يمكن أن ندعوه بالتدليل التركيبي أو الدلالي، يقدم بوصفه نصاً مولّداً... يتوالد من خلال التطبيق لعناصر مختلفة أو موسومة دلالية/تركيبية فهو يتوالد غير قابل للاختزال في البنية المولّدة، إنه إنتاجية بدون إنتاج⁴» إذ يصبح النص المولّد مجالاً

¹ Voir. M.Arrivé. Sémiotique Littéraire.in ; sémiotique L'école de Paris.J.C.Coquet ,Hachette Université. 1982.p.146.

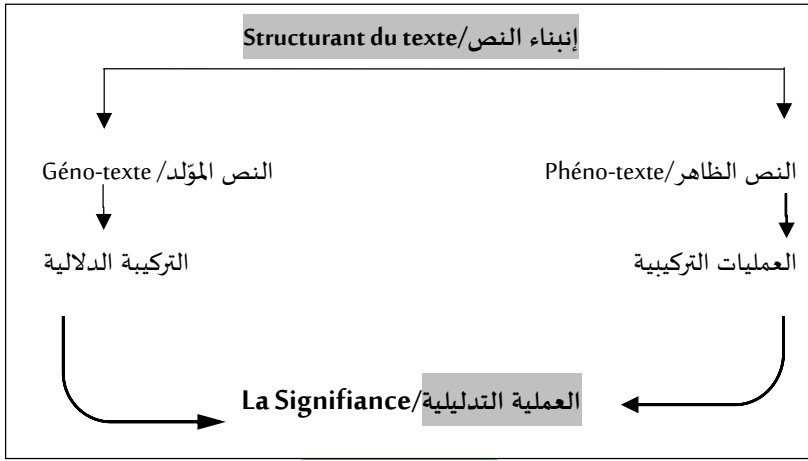
² Julia Kristeva, Sémiotiké, Recherches pour une sémanalyse, ed. Seuil, 1969. 21.

³ Voir. Julia Kristeva, La Révolution de Langage poétique. Collection poétique. Edition. Seuil, Paris.1984.p.84.

⁴ Julia Kristeva, Sémanalyse et production du texte.in, A.J.Greimas, Essais de sémiotique poétique, Larousse, 1972.p.216.

تستثمر فيه العلامات بوصفها إزاحة للعملية التدليلية الموزَّع في شبكة غير متناهية من العلامات التركيبية والدلالية.

فالنص المولد ليس بنية، بل هو إنبناء Structurant، لا أكثر. على غرار النص الظاهر، الذي يمثل التمظهر السطحي للغة الذي يناسب التحليل البنوي والصرفي "الملفوظ والمحسوس".



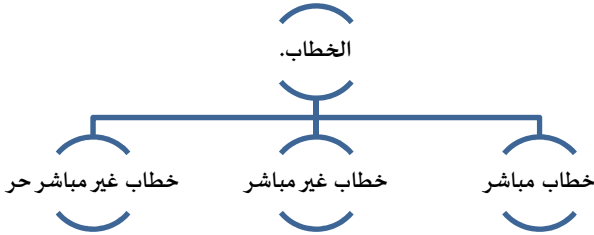
2-3- التناص وحوارية النصوص (تداخل النصوص/Textualité):

لمصطلح التناص امتدادا معرفيا لمفهوم الحوارية Dialogisme عند مخائيل باختين Mikhaïl Bakhtine، الذي يرجع كل إنتاج لغوي إلى حقل العبارات المستخدمة في مجتمع ما وفي فترة تاريخية معينة، فالمؤلف أو المبدع حينما يتكلم أو يكتب فهو يتحرك ضمن نصوص أو خطابات موجودة سلفا، حيث يتحدّد هذا النشاط من خلال مبدأ التفاعل الكلامي أو الخطابي، إذ تنزاح الكتابة عن مستوياتها التركيبية والدلالية إلى مجموعة من العلامات الدالة داخل إطار مجموعات نصية كبرى، ولعلّ الرواية تمثل حقلًا خصبا لمبدأ الحوارية بوصفها بؤرة اشتغال تتعدد فيها المستويات الصوتية واللغوية المعبرة عن المحيط والسياق الاجتماعي.

ومن خلال هذا التوصيف تغدو الرواية في «درجة متغيرة، نسق حوارى لصورة اللغة. . . فاللغة في الرواية لا تكتفي بالتمثيل، تصلح هي نفسها بوصفها موضوعا

للممثل، فالخطاب الروائي يكون دائما نقدا ذاتيا¹ « وبهذا يعيد "باختين" مسألة خطاب الآخر من منظور سوسيو-لساني، حيث يقدم الخطاب المروي بوصفه خطاب في الخطاب وتلفظ في التلفظ ولكن في الوقت نفسه خطاب عن الخطاب وتلفظ عن التلفظ².

يبدو تصور "م. باختين" مختلفا عما قدمه "ف. دوسوسير" حول اللغة بوصفها شيئا مجردا. فباختين يجمع بين الظاهرتين اللغوية والاجتماعية التي «تستكشف الأشكال القاعدية والأشكال الإيديولوجية العامة للتواصل السيميائي³». ومنه يقسم "باختين" الخطاب إلى (خطاب مباشر/ وخطاب غير مباشر/ وخطاب غير مباشر حر).



ومن خلال هذه الأنماط الخطابية الثلاث يرسى "م. باختين" قواعد الخطاب من خلال قراءته ونقده للخطاب النقدي لدى "ديستوفسكي" في عمله الرواية المتعددة الأصوات Roman Polyphonique، فالمؤلف داخل روايته لا يشتغل كراو فحسب، بل يتمثل داخل خطابه ولغته لتجسيد مبدأ الحوارية كأولية أساسية لتقاطع الأصوات واللغات.

وعلى شاكلة هذا الطرح تستثمر "ج. كريستيفا" مفهوم الحوارية بوصفه مقولة نقدية باتت تشكّل داخل نسق الخطاب النقدي نقلة مفاهيمية على المستويين اللساني والسيميائي، حيث عرف هذا المفهوم بمصطلح "التناص/التداخل النصي" الذي قدّمته "ج. كريستيفا" على أنه مقولة سيميائية يشتغل على رفض واحدة الخطاب. ذلك أنذ

¹ T.Todorov, M.Bakhtine, Le principe de Dialogique, suivi de écrit du cercle de Bakhtine, dirigée par.G.Genette et Todorov,ed.Du Seuil, Paris1977.p.103.

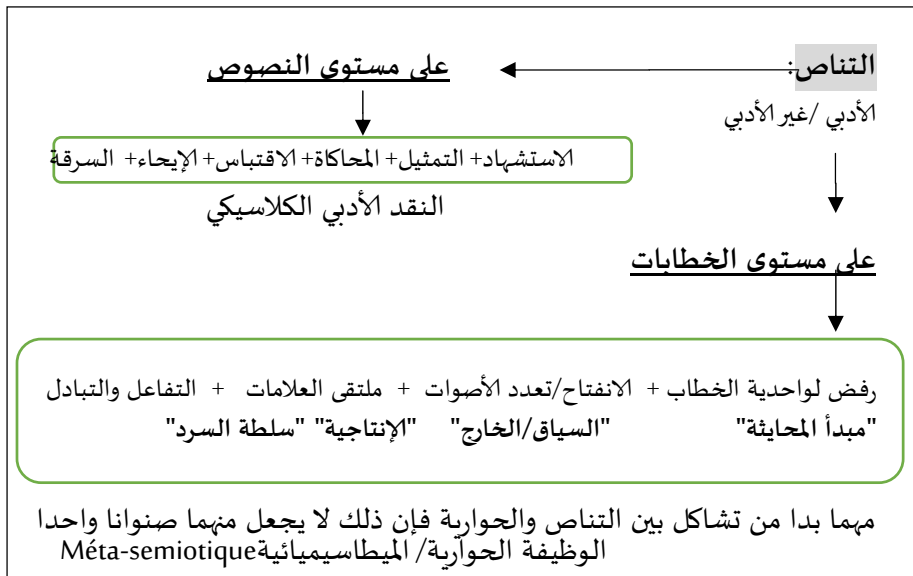
² M.Bakhtine, Le marxisme et la philosophie du langage, essai d'application de la méthode sociologique en linguistique. Tradition, Marina Yaguello, Ed. Minuit, Paris.1977.p.161.

³ IBID. p.31.

الجناس الأدبية ظاهرة لغوية تمتلك مرونة في التعامل مع اللغة في إطارها العام. واللغة الأدبية بنحو خاص. حيث «لا يوجد ملفوظا خال من البعد التناسي»¹.

إن اشتغال الوظيفة الحوارية داخل العمل الروائي متعدد المسارات التي تفتحها الذات في أثناء اشتغالها السردية وذلك من خلال تبادل المواقع بين السارد/الراوي والمؤلف داخل المتن الروائي والصراع من أجل سلطة السرد، حيث يقتسم كل من السارد /الراوي المواقع والأصوات بوعي سيميائي يفرضه الفضاء المرجعي الإيديولوجي والقيمي والأخلاقي للذات المتكلمة.

وعلى هذا النحو لا يتوقف التناس الذي يشغل على المبدأ الحوارية عند حدود البناء والاقتراسات وتحولات لنصوص أخرى غائبة، بل يأخذ التناس في علاقاته الحوارية وظائف بنوية وسيميائية أشكالا متنوعة داخل الخطاب الواحد، حيث تتجلى هذه الأشكال في النصوص الشفوية والكتابية والأدبية وغير الأدبية، إذ تصنف هذه الأشكال الخطابية وفق معايير شكلية في النقد الأدبي الكلاسيكي مثل (الاستشهاد المستقل، الاقتباس، التمثيل، السرقة، الإيحاء، الخلق الأدبي، المحاكاة، التأثير)².



¹T.Todorov, M.Bakhtine, Le principe de Dialogique, suivi de écrit du cercle de Bakhtine, dirigée par.G.Genette et Todorov, éd.Du Seuil, Paris1977.p.98.

²Voir. M.Arrivé. Sémiotique Littéraire.in ; sémiotique L'ecol de Paris.J.C.Coquet, Hachette Université.1982.p.146.

من حيث الوظيفة بل يجب وضع الحدود بينهما، على أساس أنّ الدخول نص في علاقات تفاعلية مع نصوص أخرى لا يعني ذلك دخول نص في علاقات حوارية مع خطابات أخرى، بمعنى أنّ التناص عمل تهجيني وتبادلي بين نص أو عدة نصوص، سواء كان هذا التهجين واعيا أم غير واعيا، بينما الحوارية في الصل هي مناجاة داخلية تتسع لكثافة الشراكة الخطابية، حيث يتماها فيها عامل الملفوظ مع عامل التلفظ وعامل الملفوظ بالمتلقي تاليا.

خاتمة:

ومن خلال هذا التوصيف النقدي، نستنتج أن "ج. كريستيفا" من خلال انفتاحها النقدي تحاول:

- 1- الدعوة إلى الانفتاح النقدي الذي يقحم التحولات الإيديولوجية والتفاعلات اللغوية والأنواع الأدبية كنسق تناص يعمل على تهجين الخطابات بالذات التي تشكل جزءا قبليا من وعي القارئ.
- 2- تعتبر "ج. كريستيفا" أن الخطاب لا يتحدد بوصفه موضوعا جماليا /أديبا فحسب. بل يجب أن ينظر إليه بوصفه عملية لسانية واصفة. تتشكل داخل اللغة وعبر اللغة، غير قابل للاختزال.
- 3- إن متصورات "ج. كريستيفا" أعادت الاعتبار للذات التي غيّبتها الممارسات النسقية. وهذا بعد تقويضها للنظرية الغلوسيماتية الياملسليفية الغائية التي اختارت لنفسها مبدأ التعالي.
- 4- يبدو أنّ ج. كريستيفا من خلال انفتاحها على المشهد النقدي كانت بمثابة تقليل من حدّة الصدام والصراع النقدي في الفكر البنوي. وبالتالي الدفاع عن البعد الحضورى لفلسفة الذات. بعد ما أذابته البنيوية داخل سلطة الدال.
- 5- تؤسس "جوليا كريستيفا" مشروعها النقدي "السيميائيات التحليلية"، على أسس نقدية جديدة متميزة وثابتة في تاريخ المعرفة والايديولوجيا، القائمة على مقولات التقويض والإنتاج. والانفتاح النقدي.
- 6- كما تعمل "ج. كريستيفا" على إخراج البحث السيميائي وتوسيعه إلى فضاءات أرحب حيث تتوالد الدلالة والمعنى في إطار فلسفة اللغة/ فلسفة المعنى، وبالتالي التأسيس نموذج نقدي علمي.

7- تتبنى الناقدة «جوليا كريستيفا» النزعة الواصفة التنظيرية، القائمة على مبدأ التشوير واستقراء للعلامات وربطها بما هو اجتماعي وما هو نفسي وما هو ثقافي، حيث تعتبر أن السيميائيات أصبحت نقطة ملتقى للعلوم.

قائمة المراجع:

1. ج. هيو سيلفرمان، نصيات بين الهرمونطيقا والتفكيكية، ترجمة، حسن ناظم وعلى حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، 2000.
2. ناصر إسطنبول، مسرح الطفل، من الحلم إلى المرأة، مقارنة فرودية /لاكانية، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغات والفنون، جامعة وهران، العدد1، 1992.
3. محمد مفتاح، النقد بين المثالية والدينامية، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، عدد60، -61، 1989.
4. علي حرب، نقد النص، النص والحقيقة1، المركز الثقافي العربي، 1995.
5. أحمد يوسف، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2000.
6. Julia Kristeva, Le langage cet inconnu, édition, Seuil, Paris.
7. _____, Sémiotik, Recherches pour une sémanalyse, éd. Seuil, 1969.
8. _____, La Révolution de Langage poétique. Collection poétique. Edition. Seuil, Paris. 1984.
9. _____, Semanalyse et production du texte. in, A. J. Greimas, Essais de sémiotique poétique, Larousse, 1972.
10. T. Todorov, M. Bakhtine, Le principe de Dialogique, suivi d'écrit du cercle de Bakhtine, dirigée par G. Genette et Todorov, éd. Seuil, Paris1977.
11. M. Bakhtine, Le marxisme et la philosophie du langage, essai d'application de la méthode sociologique en linguistique. Tradition, Marina Yaguello, Ed. Minuit, Paris. 1977.
12. Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, Tome1, éd. Cérés 1995.
13. M. Arrivé. Sémiotique Littéraire. in ; sémiotique L'école de Paris. J. C. Coquet, Hachette Université. 1982.